

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

@ 185 @ يفهم عنه ، وعن الزين قاسم الحنفي قال ما سمعت العلم من مثله ، وعن الأمين الأقصرائي أنه وصفه بالشيخ الإمام العلامة خلاصة الزمان والعلماء . وعن الشهاب الأبدى أنه كتب لوالد صاحب الترجمة أن اﻻ خول سيدنا وملاذ أنسنا أبا الفضل ولدم الأسعد من الفتوح الإلهية والمنن الربانية مما امتحنه صالح دعائكم وحسن طويتكم واعتقادكم أن جعله اﻻ بحرا لعلوم زاخرة وعنصرا لفضائل فاخرة ومحاسن متوالية متضافرة فكم أبدى من دقائق خضعت لها الرقاب ونفائس هامت بها ذوو الأبواب ومباحث شريفة كشفت دونها الحجاب فأبكت ذوي العقول وحج أصحاب المعقول والمنقول فدانت له المملكة المصرية والأقطار الشامية والبلاد القاصية والدانية فحاز الرياستين وقام بالوظيفتين فالرؤساء حول دياره مخيمون وعظماء المذهب بفناء منزله محومون فالوصف يقصر عما هو فيه أبقى اﻻ وجوده وزاد في معاليه . قلت وقد بالغ البقاعي بل جازف وصدر ترجمته بقوله : الإمام العلامة نادرة العصر وأعجوبة الزمان وجعله عمدة في الخوض في المناسبات التي خولف في شأنها حيث زعم أن أبا الفضل قال له الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن وهو أنك تنظر الغرض الذي سيقى له السور وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند إنجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من إشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى) .

الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلي على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلت ذلك تبين لك إن شاء اﻻ تعالى وجه النظم مفصلا بين كل آية آية في كل سورة سورة و اﻻ الهادي انتهى . وقد كان شيخ المذهب الحنبلي وقاضيه العز الكنانى رحمه اﻻ يحلف أن قائلها فضلا عن ناقلها لا ينهض لتمشيتها في أقصر السور . وسمعت البقاعي يقول غير مرة أنه لم يكن ينظر في دروسه التفسيرية في غير القرآن وأنه يستلقي على قفاه ويتأمل فيأتي بصواعق لا ينهض غيره لها وأنه كان يفعل ذلك في كل علم يقرؤه أو يقرئه لا يزيد على نظر المتن وحكى عن علي البساطي ذلك فقال كان أبو الفضل إذا قرأ علما لا يقرأه غيره ولا يزيد على تكرير مطالعة المتن ولا يطالع شرحا ولا غيره ، وناقض البقاعي قوله ونقله حيث قال أنهش رح جمل الخونجي قبل استكمالها ثمانى عشرة سنة على طريقة حسنة وهي أنه ينظر في شروحها لابن واصل الحموي والشريف التلمسانى وسعيد العقبانى وابن الخطيب